١٢ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

قال تعالى :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم٤٨] .

اختلف العلماء في هذا التبديل الذي يحصل للأرض والسماوات يوم القيامة على قولين:

القول الأول: تبديل صفة فالذات باقية ولكن تبدل صفتها فالأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبال ومعالم فتصير قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا.

وأما السماوات فتكون تارة كالمهل وتارة كالدهان من شدة أهوال يوم القيامة ثم يطويها رب العالمين بيمينه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء ١٠٤]، ولذلك قال: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تبدل آكام الأرض ونجوم السماء.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: تبدل صورتها ويطهر دنسها.

القول الثاني: قول جماهير العلماء: أن المراد تبديل ذات بذات فيذهب بهذه الأرض ويؤتى بأرض أخرى ويذهب بهذه السماوات ويؤتى بسماوات أخر.

ثم اختلفوا في كيفية تبديلهما على أقوال فروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبدل الأرض فضة والسماء ذهبًا.

وعن كعب: تبدل الأرض نارًا والسماء جنة.

وعن القاسم بن محمد: تطوى كطي السجل.

وقيل تختلف أحوالها تارة كالمهل وتارة كالدهان. (١)

(١) المفهم (٧/ ٣٥١).

وأصل التبديل في لغة العرب تغيير الشيء ومنه قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[النساء٥٦] .

وقوله تعالى﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[البقرة:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿ ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾[النور:٥٥] .

وقوله تعالى: ﴿ ...فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[الفرقان: ٧٠].

وقوله تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ... ﴾[القلم:٣٢] .

وقد ثبت في الصحيحين [١] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : [**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**] قال : سهل أوغيره : ليس فيها معلم لأحد.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: العفر بياض ليس بالناصع. [٢]

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكأنها تغيرت من لهب النار. [٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام : [كقرصة النقي] القرصة الخبزة والنقي أي النقي من الغش من النخالة والقشرة.

وقول سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ليس فيها [معلم أوعلم] ، روايتان بمعنى واحد أي أن الأرض مستوية ليس فيها علامة ، لا سكن ولا بناء ولا شجر ، ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات.

كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[طه: ١٠٥ ـ ١٠٧] .

---

(١) البخاري برقم (٦٥٢١) مسلم برقم (٢٧٩٠)
(٢) فتح الباري (١٣/ ١٨٤)
(٣) المفهم (٧/ ٣٥٠).

والنسف هو القلع أي يقلعها من أصلها ويجعلها هباءً منثورًا .

قال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة ١ ـ ٦] .

وقوله: ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي فيترك أماكن الجبال من الأرض ﴿ قَاعًا ﴾ أي أرضًا ملساء مستوية لا نبات فيها والقاع ما انبسط من الأرض.

وقوله : ﴿ صَفْصَفًا ﴾ والصفف الأملس.

وقوله : ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انخفاضًا وارتفاعًا.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العوج ما انخفض من الأرض.

وقوله: ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ الأمت ما نشز من الروابي والمعنى لا ترى واديًا ولا رابية.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ترى فيها صدعًا ولا أكمة. (١)

فالله تبارك وتعالى بقدرته يدك الأرض وينسف الجبال نسفًا ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ [الحاقة١٣ـ١٤] .

وقال تعالى :﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [الفجر٢١] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [المزمل١٤] . والمهيل هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده.

عباد الله: هذه الجبال العظيمة الصلبة القوية تكون يوم القيامة كالعهن

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢٣١).

ـ والعهن الصوف ـ قال تعالى :﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ ﴾[المعارج:٩] .

بل تكون كالصوف المنفوش قال تعالى :﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾[القارعة:٥] .

هذه الجبال تسير سيرًا كما قال تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ [التكوير:٣] .

وقال تعالى :﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾[النبأ:٢٠] .

وقال تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾[المرسلات:١٠] .

وقال تعالى :﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الكهف:٤٧] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم تلك الأهوال الأرض تدك وتزلزل والجبال تسير وتنسف والبحار تفجر وتسجر ، والسماء تتشقق وتمور ، والشمس تذهب وتكور ، والقمر يُخسف ، والنجوم تنكدر وتتناثر ، فما أشد غفلتنا عن ذلك اليوم العظيم ، فإننا في غفلة عن اليوم الآخر عن يوم البعث والنشور ، عن يوم التناد ، عن يوم الدين ، عن يوم التغابن ، ذلك اليوم يوم عصيب ، ويوم عسير ، ويوم شديد ، فيا ويلٍ من غفل عن ذلك اليوم ونسيه ، ولم يستعد للعمل له ، قال تعالى :﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦] .

وقال تعالى :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ [الماعون:١] .

معاشر المسلمين:

إن الواجب علينا أن نؤمن بيوم القيامة وأن لا نغفل عنه أبدًا ، قال

تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾[الأنبياء:١] .

وقال تعالى :﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾[القمر:١] .

وقال تعالى :﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ ﴾[المعارج:٦ ـ ٧] .

وقال تعالى :﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ ﴾[النحل:١] .

وهذه الأرض التي نحن فيها تصير نزلًا لأهل الجنة يوم القيامة بقدرة الله ففي الصحيحين [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ : [**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار ـ ومعناها يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته ـ بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**] فأتى رجل من اليهود فقال :بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال: [**بلى**] قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ ، **فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم قال : إدامهم بالام ونون قالوا : وما هذا قال: [ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا]**.

وفقنا الله وإياكم للعمل الذي يرضيه ، وجعل أعمالنا مقبولة نافعة عنده، والحمد لله رب العالمين.

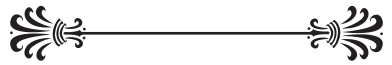

(١) البخاري برقم (٦٥٢٠) مسلم برقم (٢٧٩٢)

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبينا الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فيا معاشر المؤمنين: لقد وردت أثار كثيرة متعلقة بتفسير هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم [١] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود ـ أي عالم ـ فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال : اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال : اليهودي جئت أسألك فقال : له رسول الله ﷺ أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه ـ أي خط بالعود في الأرض وهذا يفعله المفكر ـ فقال : سل فقال : اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر ـ أي على الصراط ـ قال : فمن أول الناس إجازة؟ـ أي أول من يمر ويعبر عليه ـ قال : فقراء المهاجرين قال : اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ـ أي الحوت ـ قال : فما

(١) مسلم برقم (٣١٥).

غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا قال : صدقت قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أورجل أورجلان قال : ينفعك إن حدثتك ؟، قال : أسمع بأذني قال: جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنث بإذن الله قال : اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ : **لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به]**.

وفي صحيح مسلم [١] أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ يا رسول الله فقال :[على الصراط].

قال القرطبي صاحب كتاب التفسير: فهذه الأحاديث تنص على أن السماوات والأرض تبدل وتزال ويخلق الله أرضًا أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر. [٢]

وصح في مُسند الإمام أحمد [٣] عن مجاهد قال : قال : ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال : أجل والله ما تدري أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفًا تجري فيها أودية القيح والدم قلت أنهارًا قال : لا بل أودية ثم قال : أتدرون ما سعة جهنم قلت: لا قال: أجل والله ما تدري حدثتني عائشة ، أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله

(١) مسلم برقم (٢٧٩١).
(٢) التفسير (٩/ ٣٨٣).
(٣) أحمد برقم(٢٤٨٥٦) وصححه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع (١/ ٤٨٦).

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟، قال: [**هم على جسر جهنم**].

ومعنى قوله ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أي خرجوا من قبورهم وظهروا بين يدي الله الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يشاء قال الله تبارك وتعالى : : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر : ١٦] .

وفي صحيح البخاري [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**].

نسأل الله أن يصلح أحوالنا ، وأن يسدد أقوالنا ، وأن يثقل موازيننا ، اللهم نجنا من أهوال يوم القيامة ، ومن ظمأ يوم القيامة ، ومن كُرب يوم القيامة ، والحمد لله رب العالمين.

(١) البخاري برقم (٤٨١٢).